وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون



سُبُل النَّصر

بِقَلَم :

لمع الأُسِنَّة العَرنانية

الوفاء

سُبُلُ النَّصر

بِقَلَم:

لمع الأسِنَّة العَدنانية

1437 هـ | 2016 م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم اللهِ القويِّ المتين، الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على قائد الغرِّ المحجَّلين وعلى آله وصحبه الطَّاهرين، **أمَّا بعد:**

ممَّا دلَّنا عليه ﷻ في السَّعي لتحقيق المصالح ودفع البلاء ومن الأخذ بالأسباب في كل أمر هو الدعاء، إذ قال ﷻ: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: 60]، وهذه بشارة منه ﷻ أنَّه لا يخذل عباده، وهي تحريض على الدُّعاء الذي هو عبادة، وتبيان منه ﷻ أنَّ علاقةَ الخطاب بين العباد وربهم هو وسيلة الدعاء، إن كان في شكر أو طلب قضاء حاجة أو طلب دفع ضر أو غيره، ومنه كذلك الدعاء عند لقاء العدوِّ وطلب الثبات من الله ﷻ والنصر والتمكين والرِّباط على القلب والنكاية في أعداء الله، وعلى ذلك كان الرسول ﷺ وصحابته والسلف من بعده، قال النووي: "وقد اتفقوا على استحبابه"[1]، وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: 250، 251]، وقال ﷻ: ﴿**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: 147، 148].

وكان ﷺ إذا لقي عدوَّه وقف ودعاه واستنصر الله[2]، ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رِداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذَ رداءَه فألقاه على منكبيه، ثم التزمَه من ورائه، وقال: يا نبيَّ الله كفاك مناشدتك ربَّك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله

(1) شرح صحيح مسلم (11/291).
(2) زاد المعاد (3/97).

ﷻ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]، فأمده الله بالملائكة"[3].

وكما وعدنا الله ﷻ أنه يستجيب دعاء عباده المؤمنين، وأنه لا يردهم مخذولين، ولا محسورين؛ فقد وعدنا ﷻ أن إذا نصرناه وأخلصنا في ذلك فإنَّه ينصرنا على أعدائه وأعدائنا، إذ قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: 7]، قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله، إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمدا ﷺ على أعدائه من أهل الكفر به، وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العُليا ينصركم عليهم، ويظفركم بهم، فإنه ناصرٌ دينه وأولياءه. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) لأنه حقّ على الله أن يعطي من سأله، وينصر من نصره، وقوله (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) يقول: ويقوِّكم عليهم، ويجرِّئكم، حتى لا تولوا عنهم، وإن كثر عددهم، وقلَّ عددكم"[4].

فإنَّ عباد الله إذا أخلصوا في دينَهم لله ﷻ وصدَّقوه وسعوا إلى نصرة دينه وإعلاء كلمته وتحكيم شريعته في أرضه ودعوا الله بالنَّصر والثبات والتمكين والمعونة على أمرهم؛ فإن الله ﷻ يستجيب لهم دعاءهم لما يرى من الإخلاص والصدق في قلوبهم، لذلك قال ابن كثير رحمه الله: "فإن الجزاء من جنس العمل"، ولهذا قال: (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ).

وقال السعدي رحمه الله: "هذا أمرٌ منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم

---

(3) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب قوله تعالى: (إذ تستغيثون ربكم) برقم (3953)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، برقم (1763) واللفظ لمسلم.

(4) تفسير الطبري (22/ 161).

بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسِّر له أسباب النصر، من الثبات وغيره"[5].

قال الشيخ محمد الأمين المختار الشنقيطي رحمه الله عند تفسير قول الله عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** [محمد: 7]: "ذكر الله -جلَّ وعلا- في هذه الآية الكريمة أن المؤمنين، إن نصروا ربَّهم، نصرهم على أعدائهم، وثبت أقدامهم، أي عصمهم من الفرار والهزيمة، ثم قال: يدل على أن الذين لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر البتَّة، فمثلهم كمثل الأجير الذي لم يعمل لمستأجره شيئًا، ثم جاءه يطلب منه الأجرة. فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين، ثم يقولون: إن الله سينصرنا، مغررون؛ لأنهم ليسوا من حزب الله الموعودين بنصره كما لا يُخفى، ومعنى نصر المؤمنين لله، نصرهم لدينه ولكتابه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه، وتمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، ويحكم في عباده بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم"[6].

فوعد الله سبحانه وتعالى مَن دعاه من عباده المؤمنين أن يستجيب له، ووعدهم أنهم لو نصروه ونصروا دينه نصرهم سبحانه وتعالى بنصره، وأيُّ نصرٍ؟ إنه نصر إلاهيٌّ سماويٌّ لا يضاهيه أي نصر.

ولكن اللهَ سبحانه وتعالى مع نصره لعباده لا بدَّ من تمحيصِهم واختبار إيمانهم ومدى صدقِهم لله عز وجل ووفائهم بوعدهم له بالنصر، فيبتليهم ليميز منهم الطيب من الخبيث والصادق من الكاذب والمرائي، وهذه سنة الله في عباده منذ القدم، قال سبحانه وتعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾** [البقرة: 214]، يقول سيد قطب رحمه الله: "هكذا خاطبَ اللهُ الجماعةَ المسلمة الأولى، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها، وإلى سنته سبحانه في تربية عباده المختارين الذين يكلُّ إليهم

(5) تفسير السعدي (ص: 785).

(6) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (7/ 251- 252).

رايته وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته، وهو خطاب مطَّرد لكل من يختاره لهذا الدور العظيم، إنَّ هذا السؤال من الرسول ومن الذين آمنوا معه، من الرسول الموصول بالله عبر وحيه، والمؤمنين الذين آمنوا معه، إن سؤالهم؛ (متى نصر الله)، ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة، ولن تكون إلا محنة فوق الوصف، تلقي ظلالها على مثل هاتيك القلوب فتبعث منها ذلك السؤال المكروب؛ (متى نصر الله)، وعندها تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة، عندئذ تتم كلمة الله، ويجيء النصر من الله؛ (ألا إن نصر الله قريب)، إنه مدخر لمن يستحقونه، ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية، الذين يثبتون على البأساء والضراء، الذين يصمدون للزلزلة، الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة، الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله وعندما يشاء الله، وحتى حينما تبلغ المحنة ذروتها فهم يتطلعون إلى نصر الله فحسب لا إلى أي حل آخر ولا إلى أي نصر آخر لا يجيء من عند الله، ولا نصر إلا من عند الله، بهذا يدخلون الجنة، مستحقين لها، جديرين بها، بعد الجهاد والامتحان والصبر والثبات والتجرد لله وحده، والشعور به وحده وإغفال كل ما سواه وكل من سواه. إنَّ الصراع والصبر عليه؛ يهب للنفوس القوة، ويرفعها على ذواتها ويطهرها في بوتقة الألم، فيصفو عنصرها ويضيء، ويهب العقيدة عمقًا وقوة وحيوية، فتتلألأ حتى في عيون أعدائها وخصومها، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجًا كما وقع، وكما يقع في كل قضية حق، يلقى أصحابها ما يلقون في أول الطريق حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم، وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين، على أنه –حتى إذا لم يقع هذا– يقع ما هو أعظم منه في حقيقته، يقع أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قُوى الأرض وشرورها وفتنها، وأن تنطلق من أسر الحرص والدعة والراحة التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء، كسب يرجع جميع الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون، المؤتمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته، وهذا الانطلاق هو المؤهِّل لحياة الجنة في نهاية المطاف، وهذا هو الطريق، هذا هو الطريق، إيمان وجهاد، ومحنة وثبات وابتلاء وصبر وتوجه إلى الله وحده، ثم يجيء النصر، ثم يجيء النعيم"[(7)]اهـ.

---

(7) في ظلال القرآن (1/ 197- 198).

لذلك فإنَّ النصر لا يناله المؤمنون ولا يتأتَّى لهم بمجرَّد التمنِّي على الله الأمانيَّ، وإنَّما يتحقق بالقيام بنصرة الدين وإعلاء كلمة الله ﷻ، وبَذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، وإرخاص مهج الأرواح في سبيل الله ﷻ، فالله -جلَّ وعلا- ينصر عبده الذي ينصرُ دينَه ومن نصره الله فلا غالب له، قال ﷻ: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [آل عمران: 160]، فإن أكبر عُدَّة للمؤمنين وزاد على الكافرين والمجرمين هي تقوى الله وإصلاحُ النفس ظاهرًا وباطنًا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا لا ينافي أن يأخذ المسلمون بأسباب النصر، فقد قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: 60]، ولكن يبقى أعظم عوامل النصر وأجل مقّوماته هو وجود المؤمنين الصادقين الذين محَّصهم الله ﷻ وعلم الصدق والإيمان والإخلاص في قلوبهم، ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾ [النور: 37].

وقد نصر اللهُ نبيَّه محمدًا ﷺ يوم الغار بلا جيش ولا سلاح، ونصر اللهُ رسوله ﷺ وأصحابه يوم بدر بالملائكة، ونصر اللهُ رسوله ﷺ وحزبه المؤمنين يوم الأحزاب بالرِّيح والجنود، وغير ذلك من نصر الله لجنده وحزبه بعوامل النصر الكثيرة، فالشأن كل الشأن في وجود فئة مؤمنة تفهم الإسلام فَهمًا صحيحًا، تعيشه في كل مجالات الحياة، وترعى في ظله شعبًا صادقًا يعرف الحق من الباطل، والإسلام من الكفر، لا يتنازل عن عقيدته ومراميه ولا يقبل المساومات والإغراءات للتنازل عن ذلك مهما أُوذي وعذِّب وسجن.

وما هي رزية ولا خسارة أن يؤذي أحد أو يقتل في سبيل دينه وعقيدته والثبات على دعوته وأفكاره وأقواله، وقد توعَّد فرعونُ السحرةَ حين آمنوا بربِّهم وهدَّدهم بالقتل، فما استكانوا لفرعون وما وهنوا وما ضعفوا ولم يكن من أمرهم إلا أن: ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه: 72، 73]؛ فالإيمان حين تخالط بشاشتُه القلوب لا يلوي على الباطل

ولا يتحول عن الحق، مهما كان الابتلاء من الضرب والحبس أو القتل أو الابتلاء بالسرَّاء من الإغْراءَات بالمال والمنصب والجاه.

وعن خباب بن الأرت ﵁ قال: "شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا" قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(8).

فالفتن والمِحَن لا تزيد المؤمنين -ولا سيَّما العلماء منهم- إلا إيمانًا بالله وتسليمًا لأمره وخشية منه ورهبة وتعظيمًا وإجلالًا له ﷻ، قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: 22]، والمهم أن نقول الحقَّ ولا نلبسه بالباطل وأن نصدع بما نعلمه دينًا وشريعةً وعقيدةً ومنهجًا قال تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 139].

وروى مسلم في صحيحه عن صهيب ﵁ عن النبي ﷺ في قصة الملك والساحر والراهب والغلام الحديث وفيه: «**ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَالَ وَمَا هُوَ**

(8) صحيح البخاري (3/ 1322) حديث رقم 3416.

قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»(9).

فعلى عباد الله المؤمنين إذا راموا نصرَ الله والصدقَ والإخلاصَ في طلب ذلك أن يصبروا على المحن والابتلاءات، ومواصلة الطريق رغم الجراحات والحرمان، كما قال ﷻ: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: 214]، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ**﴾: "قبل أن تبتلوا وتختبروا وتمتحنوا -كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم-، ولهذا قال: ﴿**وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ**﴾ [البقرة: 214]، وهي الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب، قال ابن عباس وابن مسعود وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم؛ البأساء الفقر، الضراء السقم، (وزلزلوا)؛ خوفوا من العداء زلزالًا شديدًا وامتحنوا امتحانًا عظيمًا.

﴿**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**﴾ [البقرة: 214]؛ أي يستفتحون على أعدائهم، ويدعون بقرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة، (ألا إن نصر الله قريب)؛ كما قال تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرح: 5، 6]، وكما تكون الشدة ينزل من النصر

(9) صحيح مسلم (4/ 2299) حديث رقم 3005.

مثلها، ولذا قال: (ألا إن نصر الله قريب)، وفي حديث ابن رزين: "عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه، فينظر إليهم قنطين فيظل يضحك، يعلم أن فرجهم قريب".[10] ا.هـ.

وقال الشيخ محمد الأمين المختار الشنقيطي رحمه الله عند تفسير سورة الحج ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا**﴾ الآية [الحج: 40]: "قوله تعالى: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: 40]، بين الله -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة أنه أقسم لينصرن من ينصره، ومعلوم أن نصر الله إنما هو باتباع ما شرعه، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ونصرة رسله وأتباعهم، ونصرة دينه وجهاد أعدائه وقهرهم حتى تكون كلمته -جل وعلا- هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى، ثم إن الله -جل وعلا- بين صفات الذين وعدهم بنصره لتمييزهم عن غيرهم، فقال مبينا من أقسم أنه ينصره؛ لأنه ينصر الله -جل وعلا-: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [الحج: 41] الآية، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن من نصر الله نصره الله، جاء موضحا في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: 7، 8]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الصافات: 171 - 173]، وقوله تعالى: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾ [المجادلة: 21]، وقوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ [النور: 55] الآية، إلى غير ذلك من الآيات، وفي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ الآية، دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر، إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فليس لهم وعد من الله بالنصر؛ لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر من الله بناء على أنه وعدهم إياه، فمثلهم كمثل الأجير الذي

(10) تفسير ابن كثير (1/ 571 -572)، والحديث أخرجه أحمد (4/ 11) برقم 16232، وابن ماجه (1/ 64) برقم 181: "ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ".

يمتنع من عمل ما أجر عليه، ثم يطلب الأجرة، ومن هذا شأنه فلا عقل له، وقوله تعالى: (إن الله لقوي عزيز)، العزيز الغالب الذي لا يغلبه شيء، وهذه الآيات تدل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين؛ لأن الله نصرهم على أعدائهم، لأنهم نصروه، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وقد مكن لهم، واستخلفهم في الأرض، كما قال: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) الآية، والحق أن الآيات المذكورة تشمل أصحاب رسول الله ﷺ، وكل من قام بنصرة دين الله على الوجه الأكمل، والعلم عند الله تعالى"[(11)]. اه

وقال عند تفسير سورة النور باب ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ [النور: 55]: "قوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم)، ذكر -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذه الأمة (ليستخلفنهم في الأرض) أي: ليجعلنهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، والآيات تدل على أن طاعة الله بالإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوة، والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة؛ كقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ**﴾ [الأنفال: 26] الآية، وقوله تعالى: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)، وقوله تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)، إلى غير ذلك من الآيات، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (كما استخلف الذين من قبلهم) أي: كبني إسرائيل، ومن الآيات الموضحة لذلك، قوله تعالى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وقوله تعالى عن موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: 129]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ [الأعراف: 137] الآية، إلى غير ذلك من

(11) أضواء البيان (5/ 266).

الآيات، وقوله تعالى: (ليستخلفنهم) اللام موطئة لقسم محذوف، أي: وعدهم الله، وأقسم في وعده ليستخلفنهم، وقوله تعالى: (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم)، هذا الدين الذي ارتضاه لهم هو دين الإسلام، بدليل قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: 3]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ [آل عمران: 19]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: 85]، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وليمكنن لهم دينهم)، قال الزمخشري: تمكينه هو تثبيته وتوطيده"[(12)].اهـ

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لقول الله ﷻ ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: 47]: "قوله: وكان حقا علينا نصر المؤمنين فيه وجهان، أحدهما: نصر الأنبياء بإجابة دعائهم على المكذبين لهم من قومهم، قاله يحيى بن سلام. الثاني: نصر المؤمنين بإيجاب الذب عن أعراضهم، روت أم الدرداء، قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرئٍ مسلم يردُّ عن عرض أخيه إلا كان حقًّا على الله ﷻ أن يردَّ عنه نار جهنم يوم القيامة**»، ثم تلا هذه الآية ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾"[(13)].اهـ

فبقدرِ ما يخضع المسلمون للشرع ويُحَكِّمونه على الفرد والمجتمع والقوي والضعيف ويبتعدون عن الشرك والبدع، يستخلفهم اللهُ في أرضه ويمكِّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور: 55]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: 17، 18]، وحين قام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بنصر الدين وإعلاء كلمة التوحيد والقيام بحقوقها، وسارعوا إلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في

(12) أضواء البيان (5/ 553).

(13) النكت والعيون للماوردي (4/ 320)، والحديث أخرجه أحمد (6/ 449) برقم 27576.

سبيل الله وتطبيق شرع الله في أرضه والحكم بالعدل بين الناس؛ مكَّنهم الله في الأرض واستخلفهم فيها ونصرهم على عدوه وعدوهم.

وبهذا يتجلى لنا أنَّ طريق الحقِّ معلومٌ واضحٌ، وأنَّ أسباب النصر معلومةٌ، ولا بدَّ من توفيرها في أنفسنا ابتداءً، ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾، ولا بدَّ من الصبر بلا انكسار ولا تذلُّل، واستعلاء بالإيمان بلا تكبر وخيلاء، وانتظار للفرج دون تواكل ولا يأس ولا ملل، وعندئذ يحق لنا أن ننتظر نصر الله والتمكين لدينه في الأرض، ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾.

وليتذكر المسلم أنَّ أبواب الدُّعاء مفتوحة له في كلِّ وقت، وأنَّ اللهَ ﷻ حاشاه أن يخذل عبدًا طرَق بابَه، فتجرَّدوا من المعاصي والذُّنوب والْهَجوا إلى الله ﷻ بالدُّعاء ولا تفتُرُوا في ذلك، وتذكَّروا أنَّه بابٌ من أبواب النَّصر، وتذكَّروا أنَّ العباد إذا عظَّموا الله في قلوبهم وامتَثلوا لأمره، واجتنبوا نواهيَه، وكانوا متجرِّدين في اتِّباع دينِهم من الأهواء وحظوظ النفس، وكانوا أشدَّاء على الكفار رحماء بينهم؛ فإنَّ الله ﷻ يعظِّمهم في قلوب أعدائهم ويقذف في قلوبهم المهابةَ منهم والخوف، ويدلُّ على ذلك ما جاء عن أنس ؓ قال: "صبَّح النبي ﷺ خيبر وقد خرجوا بالمساحي على أعناقهم، فلما رأوه، قالوا: محمد والخميس محمد والخميس -أي الجيش- فلجئوا إلى الحصن، فرفع النبي ﷺ يديه، وقال: «**اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**»(14)، لأن ذكر الله فيه طمأنينة للنفوس المؤمنة، ورهبة في النفوس الكافرة، كما قال ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال: 45].

وبهذا يتقرَّر أنَّ الإيمان بالله والتوكُّل عليه وطلب النَّصر منه على العدو، والثِّقة بأنَّ الله ناصر عباده المؤمنين، أعظم وأقوى سلاح للمؤمن المجاهد في مواجهة العدو، وهذا سرُّ انتصار المسلمين على العدوِّ في

(14) أخرجه مسلم (2/ 1042) برقم 1365.

مواطن كثيرة رغم كثرة العدو عددًا وعدة وقدرة على القتال، كما حصل في بدر وغيرها، قال تعالى: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: 249]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: 7].

فعلى المجاهدين في سبيل الله أن لا ينبَهِرُوا بما وصلَ إليه الأعداءُ من أنواع الأسلحةِ المدمِّرة في هذا العصر، والجيوش الجرَّارة فيخافوا ويستسلموا، وإنَّما عليهم إعدادُ العدَّة الماديَّة مقرونةً بالإيمان بالله والتوكُّل عليه وطلب النَّصر منه وحده، وهم بذلك سينتصرون على قُوى الشَّرِّ مهما عَظُمَت -بإذن الله-.

هذا والله تعالى أعلمُ وأحكمُ.

كتبته: **لمعُ الأسنَّةِ العدنانيةُ**

الأحد 19 **جمادى الأول** 1437 **هـ** - 28 **فبراير** 2016 **م**